المحور الثاني: قضايا فلسفة الحضارة

البحث السادس: حوار وصدام والحضارات بين روجيه غارودي وصامويل هنتنغتون

يدل حوار الحضارات في تعريفه المنهجي على آلية تبادل دول وشعوب العالم آرائها ومشكلاتها، وتعيين حلولٍ لهذه المشكلات، ومن ثم تطبيق القرار الذي ترى أغلب المجتمعات والشعوب بصحته، حيث إن لكل مجتمع حضارته الخاصة، وبالتالي فإن له مشاكله الخاصة به، إلّا أن المجتمعات بطبيعتها ليست بمعزل عن بعضها البعض، فكل حضارة تؤثر وتتأثر بغيرها، الأمر الذي يؤدي إلى حدوث مشاكل مشتركة بينها، وهو ما يطلق عليها المشاكل العالمية، فكان من الحوار الحضاري والذي تقوم المجتمعات على أسسه أن يساهم في حل مثل تلك المشكلات والوصول إلى القرار السليم. وحوار الحضارات فكرة من أول من تكلم بها المفكر الفرنسي روجيه جارودي عبر نظريته الرائدة ومشروعه للجمع بين الحضارات المختلفة على أساس أرضية مشتركة للتفاهم على مستوى شعوب الأرض وسماه بـ' حوار الحضارات. وقد اتسم مشروع حوار الحضارات عند جارودي بـنقد الهيمنة الغربية والسيطرة الأمريكية. ويعود رفضه إلى المخلفات الغربية إلى الأسباب التالية: - الغرب قد برز تسلطه على العالم، ونهبه لثرواته وقمعه لحرياته باختلافات كثيرة، منها ما كان باسم رسالته في قيادة العالم، ومسئوليته في نشر الحضارة، بل وفي بعض الأحيان نشر المسيحية ...تحت مثل تلك الشعارات نهب العالم. - أن الغرب قد ارتكب أخطاء في التوجه أثناء تكوين مشروعاته بصفة خاصة منذ بداية القرن الرابع ميلادي، حين استبدل برسالة المسيح نظرية لاهوتية للهيمنة: لا خلاص خارج الكنيسة.. ،لا حضارة خارج الغرب.. ، لا يتساوى الشعب المختار مع بقية الشعب. -إن الغرب الإستعماري قد أعطى، منذ خمسة قرون -والعرض مستمر- مثال التطرف الأكثر فتكا، وهو الإدعاء بامتلاك الثقافة الوحيدة الحقيقية الدين العالمي الوحيد نموذج التنمية الوحيد مع نفي أو تدمير الثقافات الأخرى والديانات الأخرى، نماذج أخرى للتنمية، وقد تولد عن هذا التطرف للنظام الإستعمار الغربي، كل أنواع التطرف الأخرى في العالم، والتي تشكل ردود أفعال متوقعة للدفاع عن الهوية الشخصية، الثقافية أو الدينية للشعوب المستعبدة. -الغرب لأنه يطمع فقط بأن ينصب نفسه قاضيا على جميع

الحضارات الأخرى معتبرا أن المسار الذي اتبعه هو مثالي وهو الوحيد الممكن، وبأن يقرّر انطلاقا من هذه النظرة بأن شعبا ما أو حضارة أو علما أو تقنية هي بدائية نائية متخلفة وفقا للنقطة التي توضع فيها على هذا المسار أعني وفق شبهها القليل أو الكبير بنا نحن الغرب. - النظام الغربي خنق صرخة الرجال بالوضعية والبراغماتية منحيا جانبا مشكلة الإيمان، وغايات الحياة.

يقوم حوار الحضارات على منظور جمعي وليس فردي، لأن حوار الحضارات الذي يعتبره غارودي مشروع أمل يستلزم كيما نسيجا اجتماعيا جديدا، وكيما يخترع مفهوما سياسيا جديدا، أن نمنحه بعدا جديدا، وألاّ نتكلم على منظور فردي المنزع، بل على منظور جمعي، منظور مشاركة، لا نتكلم على الإنابة في السلطة والانخلاع كما هي الحال في الديمقراطيات التمثيلية وفي العقائديات التكنوقراطية حيث يصدر كل شيء من الأعلى، بل على ديمقراطية مشاركة تستند إلى مبادهات القاعدة وإلى ضروب إسهامها الحر، لا نتكلم على نظرية عن السياسة باعتبارها أداة السلطة ووسيلتها بمؤسسات وبأجهزة خارجية بالإضافة إلى الإنسان، بل بوصفها تكفيرا يتناول الغايات والالتزام الشخصي الداخلي الذي ينهض به كل واحد تجاه الكل ينهض به كل فرد تجاه الكل. **ولكن إذا كان مشروع حوار الحضارات يقوم على مشاركة جماعية فكيف تتحقق هذه المشاركة رغم التباعد الروحي والجغرافي بين الحضارات؟** يرى غارودي أن هذا الأمر ليس طوباويا لا أساس له من الواقع، بل أمر وعي ما تصبو إليه المجتمعات المتشاركة والطوائف على اختلاف أنماطها المتنوعة، وهي تسعى كل منها لمصلحتها إلى أن تغير الحياة، إن الأمر هو أن نُعرّف القاسم المشترك بين تطلعاتها وان نفتح آفاق إمكانات جديدة. ولكي تتحقق هذه المشاركة الجماعية علينا أولا أن نرجع الغرب إلى حجمه الحقيقي والى ثقافته الأصلية، ويقصد غارودي بهذا أن الثقافة الغربية مشوهة وهي إرث شرقي: **الغربية ارث شرقي كيف ذلك؟**

ج6: * **في الادب:** لقد سبقت ملحمة جلجامش الشرقية الملحمة الهومرية (الالياذة) بألف وخمشمائة عام. * **في الفلسفة:** الغربيون يطلقون إسم الفلاسفة اليونان في المرحلة السابقة لسقراط على تلك المجموعة من المفكرين العباقرة من أمثال تاليس وأنكسيمين وأنكسيماندر

وبارمينيد وهرقليطس الذين ينطقون جميعا باليونانية ولكنهم ولدوا وأبدعوا في أقاليم مختلفة من الإمبراطورية الفارسية وآسيا الصغرى وميليه وإيليه وأفسوس، وكانت تمتح من ثقافة آسيا بدءا بفارس والهلال الخصيب وانتهاء بالهند، وهكذا ينسبون إلى اليونان كل ما لم ينحدر من ماض اليونان بل ينبع من أصول آسيوية. * ثمة ينبوع آخر لحضارتنا نجد جذوره تتراوح بين فينيقية، كريت، ومصر لقد كان الفلاسفة والمؤرخون اليونان يعجبون بمصر، وتدين آراء أفلاطون الثنائية لها بالشيء الكثير، لقد كان أفلاطون يحلم بدولة ذات استقرار سياسي بينما كان يعيش في ظل ديمقراطية تحفل بالحركة، وكانت مصر هي أنموذجه، وقد ألهمت مصر الحضارة الإغريقية أيّما إلهام. ***في الفن:** وإذا قارنا فن اليونان في القرن السادس، قبل الصر المدرسي، بالفن المصري لاحظنا أن النحت الإغريقي كان يمتح كثيرا من النحت المصري، ونحن نجد مثل هذا التشابه في الفلسفة والسياسة. *وقد نتج عن انفصام الغرب عن منابعه الشرقية إفقار الانسان والتباعد الروحي.*وعليه فالمرتكزات الحقيقية الذي يقوم عليه حوار الحضارات يتمثل في: - إن دراسة الحضارات اللاغربية في مجال الدراسات منزلة تعادل بأهميتها على الأقل أهمية الثقافة الغربية. -أن يشغل مبحث الجمال منزلة تعادل بأهميتها على الأقل أهمية تعليم العلوم والتقنيات. -إن تعادل أهمية النظرة الأمامية –فن تخيل المستقبل- والتفكير في الغايات والأهداف أهمية التاريخ على الأقل. -نزع الصفة الجبرية عن المستقبل. -تحويل رؤيتنا للعالم عن تركزها حوا أنانا الصغيرة. -تحديد غايات أعمالنا. -القضاء على كل تمييز عنصري. وغيرها من المرتكزات التي تتأسس على مبادئ إنسانية خالصة.

أما فيما يخص صدام الحضارات عند هنتنغتون، فقد عرف الحضارة الحضارة كهويةٍ ثقافية، بعناصر موضوعية – لغة، دين، تاريخ، تقاليد، مؤسّسات – وبعنصر ذاتي: الشعور بالانتماء. وميز بين ثمانية أنماط من الحضارات: الغربية، والكونفوشيوسية، واليابانية، والإسلامية، والهندية، والسلافية الأورثوذوكسية، واللاتينية الأميركية، والإفريقية. على العكس من الحروب الإيديولوجية، حيث يكون تغيير المعسكر ممكناً، فإن المواجهات بين الحضارات هي مواجهات أساسية. إنه يتنبّأ بأن المحور القادِم للجغرافيا السياسية سيكون مواجهة بين عالم غربي، مُهيمِن لكنه في حال تراجع، وبين عالم إسلامي، مُسيطَر عليه لكنه في حال توسّع .ويشير أيضاً إلى صعود العالم الكونفوشيوسي (حول الصين) ويتحدّث عن محور كونفوشيوسي-إسلامي ممكن، تحالف موجّه لإسقاط الهيمنة الغربية. يعتقد هنتنغتون أن الصراع لن يكون اقتصاديا ولا اديوبوجيا، بل سيكون الانقسام الكبير بين البشر،

والمصدر الغالب للصراع ثقافيا. لأن الفروق الثقافية حسبه هي التي تحتل الأساس والمركز في التصنيف والتمييز بين البشر اليوم. وقد حدد تسلسل مراحل الصراع عبر التاريخ على النحو الأتي: صراع قديم بين الملوك والأباطرة ثم بين الشعوب، ويقصد الدول القومية، ثم بين الإيدولوجيات، ولكن بعد انتهاء الحرب الباردة سينشب الصراع بين الحضارات مع حلول النظام العالمي الجديد. وعليه فهنتنغتون لا يأمل بل وينفي حدوث ذلك لأن العالم اليوم متعدد الحضارات، متعدد الأقطاب والغرب يمثل عنده حضارة او ثقافة تميزه عن غيره وليس ممثلا لحضارة عالمية يمكن أن تضم سائر أقطار العالم. ولكن قد تكون هناك إمكانية تفادي الصراع حيث اقترح هنتنغتون ثلاثة توجُهاتٍ من التحركات التي يمكن أن تستخدمها الحضارات غير الغربية للتعامل مع الدول الغربية (الحضارة الغربية): **أول:** هذه التوجهات هو أن تحاول الدول غير الغربية فرض حالةٍ من العزلة الذاتية تسمح لها بالحفاظ على قِيمها وحماية نفسها من غزو الغرب .**وثانيها** :يمكن أن تقبل الدول غير الغربية القيم الغربية وتصبح جزءاً منها تماماً. أما **الثالثة** فهي أنه يمكن أن تحاول الدول خارج العالم الغربي موازنة سُلطة الغرب من خلال إقامة تحوُّلٍ اقتصادي في هيكلها. وبإمكان تلك الدول، في حين تُبقِي على قيمها الخاصة، التعاون مع غيرها من الدول غير الغربية لتأسيس تحالفٍ عسكري واقتصادي فيما بينها)في مواجهة الحضارة الغربية). على سبيل المثال: أن تتحالف الحضارة الإسلامية كلها مع الحضارة الهندية في مواجهة الحضارة الغربية. وقد اعتقد هنتنغتون أنَّ جَمع قوى الحضارات غير الغربية قد يدفع الغرب إلى تأسيس معرفةٍ أوسع بالثقافات المؤسِّسة لهذه الحضارات. وبهذا، سيتوقف اعتبار الحضارة الغربية "عالمية" أو موحِّدة للعالم إذ تمكنت حضارات أخرى مختلفة من التعايُش معها والتعاون في سبيل رَسم المستقبل.

نظر **روجيه غارودي إلى صراع الحضارات لهنتنغتون على** صراع بين القيم. هو في الحقيقة، صيحة خوف وتحذير من الغرب، من حجم الرفض لمشروعه، ومن المقاومات التي تظهر منددة بسياساته، ومن ثمّ، فإن الصراع القائم في العالم، ليس كما ادعى هنتنغتون، ودافع لأجله في أطروحته، بل هو، في واقع الأمر، صراع بين القيم، بمعنى آخر، صراع بين الإلحاد والإيمان، وحرب بين وحدانية السوق والمعنى، وبين الانحطاط إلى الغريزة الحيوانية للنفس الإنسانية والتسامي، أي «التسامي في الهدف ضد الاستسلام لحتميات اقتصادية غدت قوانين طبيعية، كما التلقائية الغريزية». لعل ما أراد هنتنغتون أن يقوله، لكنه أخفاه بهذا التعبير الصدامي، لكي يعطي أطروحته مشروعية لدى أصحاب القرار في المنظومة الغربية، بحسب غارودي، هو الرفض المتنامي للقيم الغربية في العالم، بسبب عدم احترامها لقدسية الإنسان، لذا، فإن المقاومات التي تظهر هنا وهناك، ما هي، في الحقيقة، إلا ردّ فعل على الأصولية الاستعمارية الجديدة، لحماية النفس من التبعية، ولإنقاذ الهوية

الأصلية، التي تعبّر عن الذات من الذوبان والانسحاق، حتى «لو كانت هوية قديمة، غاية في القدم وأسطورية، الهوية المعارضة للثقافة المستوردة»، إذ تعدّ الدعوة إلى العودة إلى الأصول، شكلا من أشكال المقاومة، وتعبيراً عن الرفض، وطريقة للاحتجاج، حتّى لو كانت هذه الأصول ممتدة «إلى عصر ذهبي بعيد، واقع في الماضي» السحيق.

لاقى كتاب "صدام الحضارات "انتقاداتٍ كثيرة، ليس فقط من المفكرين الإسلاميين أو القوميين. ويمكن تصنيف الآراء المختلفة المُستنكرة لمحتوى الكتاب تحت ثلاثة عناوين فرعية: انتقادات أخلاقية، وانتقادات منهجية، وانتقادات معرفية.

فالانتقادات المعرفية تُدين نظرية صدام الحضارات؛ لنظرتها النخبوية، والمُسلِّمة بالواقع دون محاولات تحريكه، والنظرة الاستشراقية المتعاظمة للعالم الإسلامي والحضارة الإسلامية باعتبارها حضارة تشجع على "التطرُّف" وما سماه هنتنغتون "الإرهاب الإسلامي"، متناسياً عوامل أخرى كان من المفترض النظر إليها في أثناء التحليل، مثل :دعم الغرب للاحتلال الإسرائيلي.

ويهاجم هذا النقد أيضاً افتراض أن هناك احتمالاً مستمراً بنشوب حربٍ بين الحضارات، ويرى هذا الاتجاه النقدي أن هذا الافتراض يدل على خوفٍ متأصِّل في توجُّه الواقعية السياسية. يشير هذا الاتجاه النقدي إلى كيفية تأصُّل خطاب "نحن-أي الغرب" في مقابل "هُم-أي الآخرون المسلمون وغيرهم" في أطروحة هنتنغتون، وهو ما يخلق إحساساً بالغيرية والفوقية الغربية على غيرها، ما قد يمثل طريقاً آخر للتعصُب.

أما النقد المنهجي: فيعتبر أنَّ هنتنغتون يتجاهل الدينامية الداخلية في الإسلام وتعقيداتٍ لا تُحصَى به، وكذلك في العالم الإسلامي ككل، فالصراعات الداخلية داخل الدول الإسلامية نفسها تحول دون أن يكون هناك صراع "حضاري" يدخله الإسلام ضد المسيحية. ويرى هذا النقد أن نظرية صدام الحضارات هي تعميمٌ مُجحف وانتقائي للغاية.

ويهاجم النقد الأخلاقي للنظرية طابع الأهمية "اللاأخلاقية" للفكرة المروَّج لها في الكتاب. ويزعم هذا الرأي أن نظرية صدام الحضارات أطروحةٌ معدَّة مسبقاً لخدمة مصلحةٍ بعينها (المصلحة الغربية)، ولا نفع لها في التنبؤ بنزاعات العالم المقبلة.

يمكن مؤاخذة أطروحته كذلك على خاصيتها المفرطة في الحتمية. إن الحضارات لن تتجابه بشكلٍ آلي، كما لو كان التاريخ مكتوباً سلفاً. لكن الخطأ الثاني الذي غالباً ما يُرتَكب، فإنه يكمُن في نفي هذه الأطروحة، مع إتباع سياسات قد تقود إليها. ليس صِدام الحضارات شيئاً محتوماً ولا مفرّ منه. ولن يأخذ شكل صراع مُعمّم بين جميع أعضاء حضارة واحدة، لكن من المؤكّد أن وجود هوّة بين عالم إسلامي وبين عالم غربي، هو أحد التحديات الإستراتيجية الرئيسة .ويمكن أن تُقلّص هذه الهوة أو تُوسّع، تبعاً للسياسات التي سيتّبعها الجانبان.

وعقب هذا العرض المبسط حول حوار وصدام الحضارات، يحضر في أذهاننا العديد من التساؤلات: فهل سيتحقق هذا الحوار بين الحضارات المرهون بتخلي الغرب عن هيمنته ويرضى بالمساواة مع باقي الحضارات؟ هل سيبقى حوار الحضارات مع مرور الزمن حوارا أم أنه سينتهي إلى صدام عنيف بين الحضارات؟ سيظل هذا الحوار والصدام إحدى القضايا المهمة التي تطرحها الفلسفة وقضايا العصر.

البحث السابع: الإسلام مشروع تعارف الحضارات في التاريخ/ زكي الميلاد

إن مقولة تعارف الحضارات كما يصفها لنا مؤسسها المفكر العربي زكي ميلاد هي فكرة تنتمي إلى الفضاء المعرفي العربي الإسلامي، وتتحدد في مجال العلاقات بين الحضارات. و هي محاولة لتطوير مستويات الوعي في النظر إلى عالم الحضارات والسعي لاكتشاف آفاق جديدة أو غائبة تساهم في تجديد العلاقة بين الحضارات، وتوسع من دائرة التواصل فيما بينها. والتأكيد على ضرورة بناء هذه العلاقة على أساس المعرفة المتبادلة، ومن خلال بناء جسور التعارف، لإزالة كافة صور الجهل، والتخلص من كل رواسب وإشكاليات القطيعة. كما تتربع هذه المقولة –تعارف بين الحضارات- على مجموعة من **القيم الدلالية تتمثل في:** 1- الخروج من الإشكالية الثنائية التي كرست الطابع الجدلي والاحتجاجي بين مقولتي حوار الحضارات وصدام الحضارات. الإشكالية التي قد تضيق عمليات الفهم وتورث السجال. 2- تجاوز إشكالية الجمود والتوقف، أو الاقتصار على تلك المقولتين فحسب، إلى نوع من التجدد والكشف من خلال مقولة جديدة مختلفة. 3- إن مفهوم تعارف الحضارات هو أوسع وأشمل وأعمق من مفهوم حوار الحضارات، وهو ينطلق من أرضية تكوين المعرفة والتأسيس عليها. فالتعارف هو الذي يحدد شكل العلاقات وحدودها ومستوياتها وآفاق تطورها. 4- إن المشكلة بين الحضارات ليس في عدم الحوار فيما بينها، وإنما في عدم التعارف، والانقطاع عن تكوين هذه المعرفة، وسيادة الجهل أو الفهم المنقوص، أو الصورة النمطية والسطحية في المعرفة. لذلك فإن كل حضارة غالباً ما تصور مشكلاتها مع الحضارات الأخرى على أساس عدم المعرفة السليمة أو الصحيحة بها. 5- من الغايات الأساسية لحوار الحضارات الوصول إلى التعارف، أو إلى قدر معقول منه، أو تصحيح الصورة وإزالة عدم الثقة.. إلى غير ذلك من معاني ودلالات تكشف أن التعارف يمثل قيمة أكبر من الحوار.

وقد انطلق زكي الميلاد في تأسيسه للتعارف بين الحضارة من الحضارة الإسلامية لأنه بأن العرب والمسلمين هم أصحاب حضارة عريقة وبالتالي هم يملكون معرفة ودراية ولديهم خبرة واسعة في مجال أنماط العلاقة بين الحضارات وذلك بسبب احتكاكهم بمعظم الحضارات التي كانت موجودة على مسرح التاريخ إبان مراحل النشوء والتطور والازدهار التي مرت بها الحضارة العربية الإسلامية، ولذلك كله يفترض برأيه أن يكون لدى العرب والمسلمين
تصور ما أو رؤية خاصة أو مفهوم معين يحدد شكل العلاقة بين العرب والمسلمين من جهة وبين الأمم والمجتمعات والحضارات الإنسانية الأخرى من جهة أخرى. **بالإضافة إلى انه**

كان يبحث مفهوم عربي إسلامي فيه التجدد والاجتهاد والفاعلية وعدم الجمود والتوقف واستمر في ذلك إلى أن وجد ضالته في مفهوم ((التعارف)) الذي وجده في القرآن الكريم في سورة الحجرات أية /13/ حيث ورد قوله تعالى: {{ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم}} و أراد زكي ميلاد أن يتعمق أكثر فأكثر في استجلاء دلالات هذه الآية، واستكشاف مكوناتها، وصياغة مفهوم جديد منها، يعبر عن رؤية عربية إسلامية ترسم شكل العلاقة بين الحضارات. كما اعتبر زكي الميلاد أن الخطاب القرآني –خاصة سورة الحجرات- الوسيلة المثلى لتحقيق التعارف المطلوب بين الحضارات، وذلك **راجع إلى أن الخطاب القرآني يتضمن ما يلي:** التأكيد على مبدأ الوحدة الإنسانية، فالخطاب في هذه الآية موجهاً إلى الناس كافة بصيغة ((يأيها الناس)) وكون الخطاب متوجهاً إلى الناس فهو ناظر إليهم بكل تنوعهم وأطيافهم واختلاف ألوانهم ولغاتهم وثقافاتهم وحضاراتهم، وإلى غير ذلك من مختلف أنواع التباينات والتمايزات بين الناس. 2- التذكير بوحدة الأصل الإنساني ((إنا خلقناكم من ذكر وأنثى)) فالناس بكل اختلافاتهم وتباياناتهم وتباعدهم في المكان والأوطان إنما يرجعون في جذورهم إلى أصل إنساني واحد. والقصد من ذلك أن يدرك الناس هذه الحقيقة ويتعاملوا معها كقاعدة إنسانية وأخلاقية في نظرتهم إلى أنفسهم، وفي نظرة كل أمة وحضارة إلى غيرها من الأمم والحضارات الأخرى، كما لو أنهم أسرة إنسانية واحدة على هذه الأرض. 3- الإقرار بالتنوع الإنساني ((وجعلناكم شعوباً وقبائل)) وهذه حقيقة اجتماعية وقانون تاريخي فالله سبحانه وتعالى بسط الأرض بهذه المساحة الشاسعة لكي يتوزع الناس فيها شعوباً وقبائل، ويعيشوا في بيئات جغرافية ومناخية متباينة وليعيشوا أمماً وقوميات مختلفة لكي يعمروا هذه الأرض ويكتشفوا مواردها وخيراتها ويتبادلوا ثرواتها ويجعلوا منها بيتاً مشتركاً آمناً متحضراً يتسع للجميع. 4- والخطاب في الآية يبين شكل العلاقة بين الناس ويختصرها (بالتعارف) وذلك لأن تنوع الناس إلى شعوب وقبائل وتوزعهم في أرجاء الأرض، لا يعني أن يعيش كل شعب وأمة وحضارة في عزلة وانقطاع. والسؤال كيف ربط زكي ميلاد بين الآية والعلاقة بين الحضارات والجواب في قوله :لأن التعارف بين شعوب وقبائل أي بين مجتمعات وجماعات، لذلك جاز استعماله في مجال الحضارات الاستعمال الذي نتوصل منه إلى مفهوم واصطلاح ((تعارف الحضارات)). 5- ويتساءل زكي ميلاد لماذا لم تستخدم الآية كلمة (ليتحاوروا) أو (ليتوحدوا) أو (ليتعاونوا) ولماذا استخدمت كلمة (ليتعارفوا) ويجيب على ذلك بقوله مفهوم التعارف هو الذي يؤسس لتلك المفاهيم (الحوار، الوحدة، التعاون) ويجدد لها شكلها ودرجتها وصورتها، وهو الذي يحافظ على فاعليتها وتطورها واستمرارها، هذا من جهة الإيجاب. أما من جهة السلب فإن التعارف كقاعدة وفاعلية بإمكانه أن يزيل مسببات النزاع والصدام.

وعليه فقد تأسست نظرية التعارف بين الحضارات على أسس دينية –كما أوضحنا أعلاه- بالإضافة إلى الأسس الثقافية: حيث تجعل نظرية تعارف الحضارات العلاقة بين الحضارات وثيقة، وتدفع إلى أن تتعرف كل دولة على ثقافة دولة أو دول أخرى، وبهذا فإن التعارف هو انفتاح على مختلف الثقافات والتعرف عليها، مع الحفاظ على القيم الدينية والإسلامية والأخلاقية لدى الدول العربية والإسلامية. وفي نظر الأستاذ الميلاد أنه من خلال فلسفة

الثقافة نفهم منطق العلاقات بين الثقافات، ونفهم من ثم طبيعة الحدود التي تفصل بين ثقافتنا والثقافات الأخرى، وهذا الذي يقودنا إلى الاستقلال الثقافي. الأسس السياسية: بحيث تعمل نظرية تعارف الحضارات في مجال السياسة على التعرف على مختلف التنظيمات السياسية للدول. وكما تساهم نظرية تعارف الحضارات على توطيد و تماسك العلاقات السياسية والدبلوماسية بين الدول وتعمل على تطويرها. الأسس الاقتصادية: تسهم نظرية تعارف الحضارات في التعرف على التسيير الاقتصادي للدول، فهي تساعد على تبادل المعرفة في المجال الاقتصادي، وتقرّب التبادلات الاقتصادية والتجارية بين مختلف الدول، وتعمل على تماسك العلاقات بين الدول والحضارات في مجال الاقتصاد. وكان التعارف موجودا في الأزمنة الماضية في مجال التجارة، وفي عصرنا الحالي تطورت فكرة التعارف في مجال الاقتصاد وعملت على تمتين العلاقات الاقتصادية بين مختلف الدول والحضارات. ومن هنا يمكن القول أن المفكر زكي الميلاد أعطانا نظرة دقيقة حول نظريته تعارف الحضارات، وبين لنا كيف تسهم هذه النظرية في توطيد العلاقات بين الحضارات وبين الدول في مختلف المجالات: الدينية والثقافية والسياسية والاقتصادية وغيرها، فهي نظرية ذات بعد إنساني، والغاية منها تحقيق السلم والسلام والأمن والأمان والتسامح والتواصل والتقارب والتعارف، وتجاوز فكرة الصدام والصراع بين الحضارات وبين الدول. وعليه فإن الدور الحضاري لهذه النظرية يتمثل في : **الدور الأول:** يتمثل بكونها حلقة وسيطة بين الواقع الحالي للحضارات وبين الدخول بالحوار الحضاري الفاعل والمثمر بالصورة التي دعا إليها روجيه غارودي، إذاً التعارف شرط لازم للحوار الحضاري. **الدور الثاني:** ويتمثل بأن مقولة التعارف بين الحضارات تشكل منهجاً متكاملاً لنظرية جديدة في العلاقات الحضارية، تسعى إلى تأسيس أسلوب للتعامل مع الآخر منطلقاً من الاعتراف به والتعرف عليه وقبول التعايش والتعامل السلمي معه. وبالتالي فهي تهدف إلى التقارب والتسامح/ فك عقدة الهيمنة وتجاوز عقيدة الصراع/ معرفة الآخر على حقيقته وتصحيح الصورة المسبقة عنه/ تشجيع فكرة الانتفاع من خيرات الأرض من خلال فكرة التعاون/ احترام الخصوصيات الحضارية.

بناء على العرض البسيط هل يمكن القول أنه **يوجد تقارب معرفي بين نظرية التعارف لزكي الميلاد ونظرية حوار الحضارات لروجيه غارودي ونظرية التفاعلية التواصلية ليورغن هابرماس؟ يجيب زكي الميلاد** بأنه بالرغم من إعجابه **بفكرة حوار الحضارات الغارودية إلا أنه اعتبرها مرحلة لاحقة لمرحلة التعارف،** إذ أنه لا يمكن إقامة جسور الحوار بين المجتمعات وهي لا تعرف بعضها بعضا بشكل كافٍ فنقص المعلومات عن الآخر قد يكون عائقاً أمام الحوار معه أما التعارف فإنه يمهد الطريق أمام الحوار الحضاري بكل أبعاده وآفاقه. **وعليه فإن التعارف والحوار مرحلتين مكملتين لبعض ولا يمكن اعتبار التعارف سليل الحوار بحيث لكل منهما دور حضاري يختلف عن الآخر، أما بالنسبة للتفاعلية التواصلية الهابرماسية فيرى زكي الميلاد أن** مفهوم التعارف يقترب من مفهوم التواصل الذي دعا إليه المفكر الألماني المعاصر يورغن هابرماس والذي حوله إلى فلسفة أطلق عليها اسم ((التفاعلية التواصلية)) وذلك في كتابه الشهير ((القول الفلسفي للحداثة.)) وفاعلية التواصل في رؤية هابرماس تعني تجاوز ما يصطلح عليه بفلسفة الذات، والعمل على

الوصول إلى فلسفة الآخر. وهذا ما تسعى إليه مقولة التعارف أيضاً التي تتجاوز الذات أو فلسفة الذات إلى بناء الجسور، والوصول إلى الآخر من خلال بناء معرفة وتعارف. والفارق بين المفهومين أن التواصل عند هابرماس يرتبط بحقل المعرفة، فتحددت علاقته بالعقل، أما التعارف فيرتبط بحقل الاجتماع، فتحددت علاقته بالمجتمع والجماعة والناس وبالمقارنة بين مفهومي التواصل والتعارف نجد أن مفهوم التعارف يتضمن في طياته مفهوم التواصل، لكنه يتجاوزه، بمعنى أن التعارف أوسع وأشمل من التواصل، أما التواصل فقد يكون بتعارف أو بدون تعارف. هذا فضلاً عن كون التعارف ومقتضياته دعوة للعودة إلى الفطرة البشرية واستجابة لمطلبها الأصيل، كما أن للتعارف دوراً وقائياً في منع النزاع والصدام على مستوى الأمم والحضارات، لهذا فإن اختيار مفهوم التعارف الذي بني عليه مفهوم تعارف الحضارات، هو أكثر دقة وفاعلية من باقي المفاهيم الأخرى المستخدمة في هذا الإطار.

ختاما يمكننا القول إن مقولة تعارف الحضارات قد نجحت على المستوى المعرفي والمفاهيمي
وهي درست وما تزال تدرس من قبل الكثير من المفكرين والباحثين العرب وهذا ما يزيدها تألقاً وغنى، أما على المستوى العملي فإن مسألة التعارف كمقولة مازالت تحتاج إلى آليات واقعية وخطوات عملية واضحة للوصول إلى تحقيق الأهداف المنوطة بها . وبالطبع هذا لا ينقص من قدرها.

وعلى الرغم من أهمية نظرية تعارف الحضارات على مستوى الفكر والتنظير لكن الواقع يثبت أنه من الصعوبة بمكان أن تنزل هذه النظرية إلى مستوى الواقع الفعلي والعملي. وذلك بسبب الاختلاف في آليات الخطاب العربي الإسلامي من جهة والخطاب الغربي من جهة أخرى وهذا الخلاف ناتج عن الاختلاف في الرؤى والمفاهيم والمنطلقات الفكرية والأيديولوجية والنظرة السلبية لكل طرف عن الآخر وهذه الخلافات متجذرة ومتأصلة في البناء التراكمي داخل المنظومتين الفكريتين وهذا ما يجعل مسألة الحوار أو التعايش أو حتى التعارف مسألة من الصعوبة بمكان نقلها من حيز الوجود بالقوة(بالإمكان) إلى حيز الوجود بالفعل(في الواقع الحياتي المعاش). وبناءً عليه يبقى التساؤل قائماً حول شكل العلاقة بين الحضارات وعن آلياتها ومستقبلها؟ والتساؤل الآخر حول شرعية مثل هذه الأسئلة. تبقى الأسئلة مطروحة ويمكن أن تتمخض عنها أسئلة أخرى وتبقى أيضاً الإجابات مفتوحة وقابلة للتطور.

من إعداد الأستاذة :

بوزينة حنان